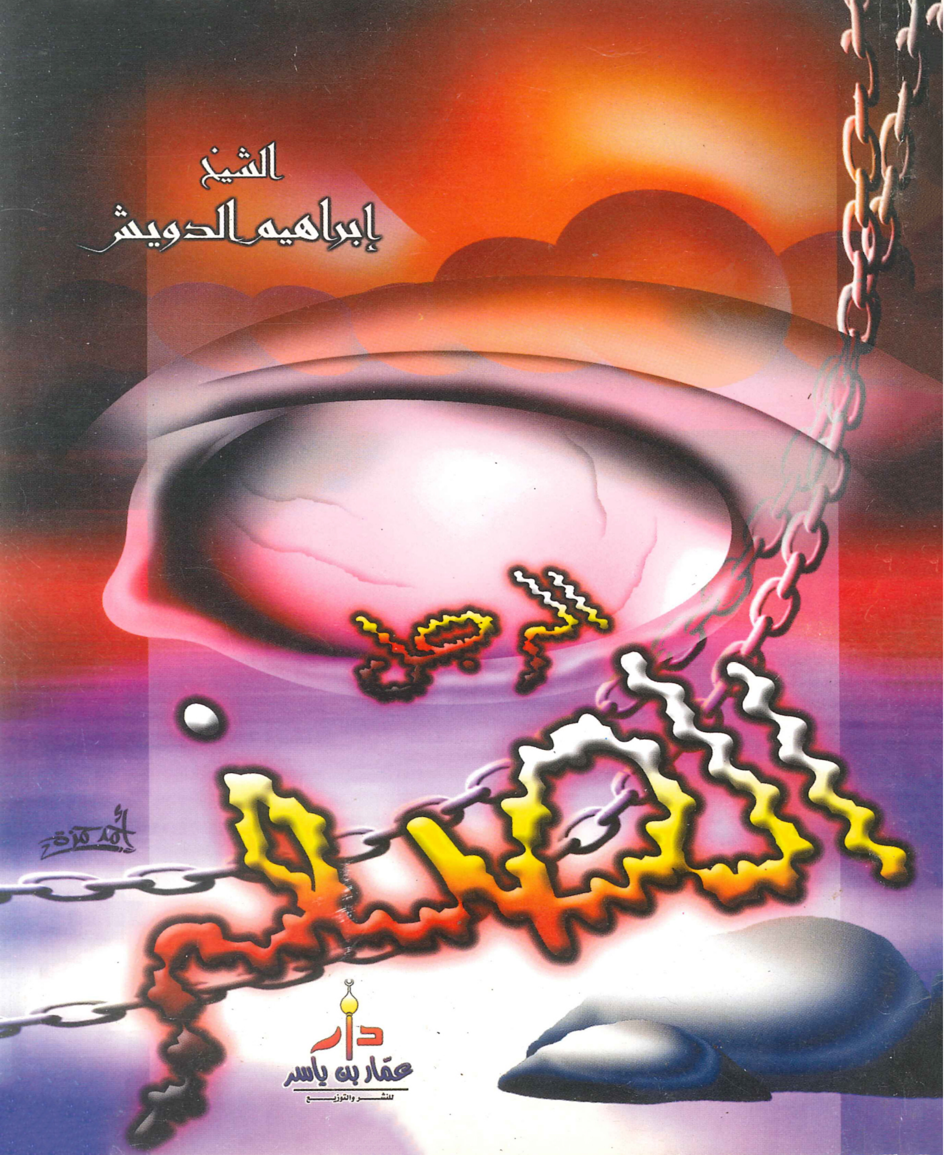


الشيخ
إبراهيم الدويش
أحمد حمزة
دار
عمار بن ياسر
للنشر والتوزيع

الرجل الصفر

بين دنو الهمة والسلبية

المظاهر الأسباب العلاج

للشيخ

إبراهيم الدويش

اعتنى به

محمود بن الجميل

الناشر

دار عمار بن ياسر

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة - مساكن عين شمس . من جسر السويس

ت: ٠١٢٤٠٦٧١٥٣ (٠٠٢)

E-mail:darammar@islamway.net



كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولي

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كانت هذه المحاضرة ليلة السبت الموافق الحادي عشر من شهر الله المحرم للعام السادس عشر بعد أربع مائة والألف للهجرة النبوية الشريفة بعنوان الرجل الصفر.

وأعني بالرجل الصفر: ذلك الرجل الذي يتصف بالسلبية ودنو الهمة، ذلك الداء الخطير الذي أصاب الكثير من المسلمين وخاصة الشباب والفتيات.

وكما أن هناك رجلًا صفرًا فإن أيضًا هناك امرأة صفرًا، وكل ما قيل في هذا الوضوع يشمل الرجال والنساء معًا، إلا فيما يختص به الرجال، وإلا فإن المرأة تشارك الرجل في كل كلمة تقال فيه.

إنك إن بحثت عن شبابنا كأمة إسلامية وجدتهم - وللأسف - على الأرصفة والاستراحات، وفي الصيد والرحلات، على المدرجات الرياضية وخلف الشاشات، بل أقول: حتى بعض الصالحين هم كذلك وللأسف، ابتلوا بمثل هذه الأمور، فبدل أن يكونوا مشاعل هداية ودُلّال خير، فإذا بالتيار يجرفهم فيزعزع التزامهم وصلاحهم.

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
فإن أطعمت طاقت وإلا تسلت

وكانت على الآمال نفسي عزيزة
فلما رأت عزمي على الترك ولّت

وإذا بحثت عن فتياتنا ومهج قلوبنا فإذا بهن بالأسواق خلف الخرق والأقمشة، أو خلف سماعات الهاتف يمزقن الفضيلة، أو مع مجلات وروايات تنشر الرذيلة، أو أمام الشاشات والأفلام، حتى أصبحن بلا هوية وبلا هدف وبلا مبدإ ولا عزيمة ولا همة، شهوات في شهوات، ولذات في لذات، وآهات وزفرات وحسرات، إلا ما شاء الله من النخبة القليلة.

وإني لأعجب - أيها الأخوة - ألم يمل أولئك هذه الحياة؟ ألم يسألوا أنفسهم؟

هب أننا حصلنا على كل ما نريد، ثم ماذا؟

ألم يسألوا أنفسهم هذا السؤال. ثم ماذا في النهاية الموت والحساب والعذاب والقبر والصراط والنار؟

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

إن الموت نهاية الجميع، لكن شتان بين من مات في أمر حقير وبين من مات في أمر عظيم.

شتان بين من يموت وهو على طاعة الله، وبين من يموت وهو على معصية الله.

شتان بين من يموت وهو يحمل هم الإسلام، ويحترق قلبه لصلاح المسلمين، وبين من يموت وهو يحمل هم شهوات الدنيا ولذاتها.

ألم يأن لشبابنا ولفتياتنا أن يعلموا حقيقة الحياة والغاية التي من أجلها خلقوا؟

ألم يأن للران أن ينقشع عن القلوب قبل أن يجمدها هادم اللذات؟

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ

مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ [الحديد: ١٧]

. اللهم أحي قلوب المسلمين، اللهم أحي قلوب شبابنا وفتياتنا، اللهم أحي قلوب الشباب الصالحين، اللهم ردها إليك ردًا جميلًا، اللهم انفعها وانفع بها يا حي يا قيوم.

أيعقل أن يصل الأمر بمسلم أو بمسلمة يحمل في قلبه لا إله إلا الله أن يصل الأمر بهم إلى مثل هذا الحد من الغفلة والضياع والحيرة والتردد؟

❑ أيها الأخ الحبيب. . أيتها الأخت الغالية.

إن للا إله إلا الله نورًا في القلب، فهل انطفأ هذا النور؟

انتبه لكلام ابن القيم الجميل إذ قال: «اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا الشعاع وضعفه فلها نور، وتفاوت أهلها في هذا النور قوة وضعفًا لا يحصيه إلا الله ـ تعالى ـ، فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم

القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علمًا وعملًا ومعرفة وحالًا، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبًا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئًا فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لابد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصَّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدًا مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره» انتهى كلامه - رحمه الله تعالى.

فإلى كل من ابتلي بهذا الداء أو بشيء منه - أقصد السلبية ودنو الهمة - أهدي هذه الكلمات وهذه التوجيهات، سائلًا المولى عز وجل أن ينفع بها الجميع، وأن يجعلها خالصة لوجهه، مع علمي أن الهمم والعزائم تتفاوت فلا نريد من أحد إلا ما يقدر عليه ويستطيع، لكن على شرط، أن يعلم أن بيده الكثير وأنه قادر على خير وفير متى؟ إذا علم أنه يحمل لا إله إلا الله في قلبه، وأنه على المبدإ الحق وأن الله معه يحفظه ويرعاه، وأن الجنة موعده إن توفاه فإن عاش عاش عزيزًا، وإن مات مات شهيدًا،

عندها أقول:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتكبر في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

ولقد جعلت لهذا الداء مظاهرًا وأسبابًا وعلاجًا على اختصار شديد وتقصير أكيد، فما هو إلا وجهة نظر واجتهاد بشر يعتريه الصواب والخطأ، أسأل الله أن يغفر لي الخطأ وأن يلهمني الصواب فما أردت إلا الإصلاح وما توفيقي إلا بالله.

* * *

من مظاهر السلبية ودنو الهمة

ومن أهم مظاهر السلبية ودنو الهمة ومن أهم صفات هذا الرجل الصفر أو المرأة الصفر.

المظهر الأول: الخمول والكسل

الرجل الصفر أو المرأة الصفر لا يكلف نفسه القيام بشيء حتى في مصالحه الشخصية، بل ربما في ضروريات حياته كالدراسة أو الوظيفة أو حتى بيته وطلباته، فماذا نقول إذًا عن حاله مع العبادات والطاعات من قيام ليل، وصلاة وتر، ومن السنن الرواتب، ومن صيام النفل، وقراءة القرآن وغيرها من العبادات والنوافل، بل انظر حاله مع الفرائض والتثاقل فيها، حتى أصبحت حاله شبيهة بحال المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]

فكيف مع قضايا المسلمين والاهتمام بها؟

وكيف يحمل هم هذا الدين والدعوة إلى الله ﷻ.

«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ومن الجبن والبخل»[١].

هكذا كان ﷺ يردد هذا الدعاء علاجًا لهذه الظاهرة.

المظهر الثاني: الرضا بالدون مع القدرة على ما هو أفضل وأحسن

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: «من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء».

ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

والله، أيها الأحبة، إني على ثقة أن في شبابنا وفتياتنا ورجالنا ونسائنا خيرًا كثيرًا، وأن في وسعهم وطاقاتهم الكثير الكثير، ولكن السلبية تلك الداء العضال أعاذنا الله وإياكم منها.

إن الله يربي المؤمنين على التطلع إلى أعلى المقامات، فيقول - سبحانه - على لسانهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

---

(١) انظر البخاري ح(٦٣٦٩،٣٨٩٣،٨٣٢) ومسلم - كتاب الذكر - ح (٤٩). وقد ورد هذا القدر ضمن أحاديث مطولة ومختصرة في المواضع التي سبق ذكرها وغيرها من الصحيحين من حديث أنس بن مالك وغيره.

لم يقل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واجعلنا من المتقين، لكنها تربية على الهمة العالية والعزيمة الصادقة ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

إن الله عَزَّوَجَلَّ يريد منك أيها الأخ الحبيب ـ ويريد منك أيتها المسلمة ـ أن تكون ذا همة عالية لا أن تكون من المتقين فقط، بل أن تكون إمامًا للمتقين، وأن تكوني إمامة للمتقيات.

هكذا يريد الله عَزَّوَجَلَّ أن يربي هذه النفوس وانظر لرسول الله ﷺ، وهو يقول: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى»[1] لماذا؟ لأن المسلم صاحب مبدإ وهو على الحق فإن عاش عاش عزيزًا، وإن مات مات شهيدًا، والله معه مؤيده وحافظه والجنة مستقره وموعده، إذًا فهو يملك جميع المقومات بأن يكون سيدًا على وجه هذه الأرض، ولأنْ يكون إمامًا للمتقين.

فما الذي يردُّك أيها الأخ الحبيب؟ ما الذي يردك وأنت على عزة حيًا كنت أو ميتًا؟ أنت عزيز سواء كنت حيًا أو ميتًا.

هكذا يربي الله، وهكذا يربي محمد ﷺ يربي أصحابه وأمَّته أن يسألوا الله الفردوس الأعلى، إن أقصى همة أحدنا إذا

(١) قال الهيثمي (١٠/١٧١): رواه الطبراني ورجاله وُثِّقوا. وقال (١٠/ ٣٩٨): رواه البزار ورجاله ثقات. من حديث العرباض بن سارية. وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩٢).

ذكرت الجنة أن يسأل الله الجنة ولكن النبي ﷺ يربي فينا التطلع إلى أعلى المقامات، وعدم الرضا بالأمور الدنية ولذلك «إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس الأعلى».

المظهر الثالث: التقيد بروتين الحياة، وعدم التطلع إلى الجديد

اعتاد بعض المسلمين على نمط معين من الحياة، ودرج عليه فيثقل عليه المشاركة ويصعب عليه العمل، وكلما حُدث بأمر كان الرد منه سلبيًا، حتى أصبح المسكين لا قيمة له، ولا يُنظر إليه ولا يُسمع لكلمته ربما مع سعة علمه وعلو مركزه، رضي بالدون ورضي برتابة الحياة، حتى ملَّها هو نفسه، وأصبح يعيش في هامش الحياة لا معنى له، فكيف تريد من الآخرين أن يحترموك أو يستجيبوا لك أو حتى يسمعوا كلمتك، مع ما أوتيت من علم ومع ما أوتيت من مركز مرموق، فإن الناس ينظرون إلى علو همتك وينظرون إلى صدق كلمتك، وينظرون إلى علمك يأيها الأخ الحبيب.

إن بعض الناس إذا مات لا يبكيه أهله ومدينته فقط بل تبكيه الأمة بكاملها، لأن الأمة فقدته، لم يفقده أهله وحدهم، ولم تفقده مدينته وحدها، بل فقدته الأمة بكاملها، كل الأمة تبكي

عليه.

من أجل أي شيء هذا؟ لأن الرجل كان رجلًا ممتازًا، كان رجلًا معطاءً كان رجلًا عاملًا نشيطًا.

وبعض الناس إذا مات بكاه أهله أيامًا، وربما قالوا في قرارة أنفسهم: الحمد لله الذي أراحنا منه، فهو كَلٌّ عليهم، بل ربما ضاقت به نفسه التي بين جنبيه بهمومها وغمومها وقلقها ومرضها لماذا؟ لأنه لا هم له إلا شهواته وملذاته فضاقت عليه نفسه، وضاق به أهله، وضاق به أهل مدينته، فكم من رجل وكم من امرأة يتعوذ الناس من شره ومن شرها.

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولا شاة تموت ولا بعيرْ
ولكن الرزية فقد فذٍّ
يموت بموته خلق كثير

وشتان بين هذا وذاك فإن من الناس من همته في الثرى - أي: التُّراب - وإن من الناس من همته في الثريا.

ولذلك كان إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى - يردد هذه الأبيات الجميلة:

إذا ما مات ذو علم وتقوى
فقد ثلمت من الإسلام ثلمه

فموت الحاكم العدل المولى
بحكم الأرض منقصة ونقمه
وموت فتى كثير الجود نحل
فإن بقاءه خصب ونعمه
وموت العابد القوام ليل
يناجي ربه في كل ظلمه
وموت الفارس الذرغان هدم
ولمْ تشهد له بالنقص عزمه
فحسبك خمسة يبكى عليهم
وباقي الناس تَخفيف ورحمه
وباقي الخلق همج أو رعاع
وفي إيجادهم لله حكمه

أترضى أن تكون من التخفيف والرحمة؟

أترضين أيتها الأخت المسلمة الغالية أن تكوني من الهمج الرعاع؟

والله، لا نرضى نحن لمسلم أن يكون تخفيفًا ورحمة، فضلًا على أن يكون من الهمج الرعاع.

كيف يرضى مسلم عاقل أن يقتله روتين الحياة ورتابتها؟

كيف يرضى مسلم عاقل أن تذهب الأيام والليالي والشهور

والسنون، وهو على حاله بدون تطور ولا تقدم؟

اسأل نفسك: كم بلغت من العمر الآن؟ عشرون سنة، ثلاثون سنة، أربعون سنة، أسألك بالله هل أنت راض عن نفسك؟

أيها الأخ الحبيب. . ماذا قدمت خلال هذه السنوات؟ وهل أنت في تطور أم أنت ما زلت على حالك وعلى ما أنت فيه منذ سنوات طويلة؟

إن المسلم العاقل صاحب المبدإ وصاحب اليقين لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يقدم ما بوسعه، وحتى يتقدم وحتى يكون غده أفضل من أمسه.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها فهم يبالغون في كل علم، ويجتهدون في كل عمل، ويثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم سابقون، وأكمل أحوالهم إعراضهم عن أعمالهم فهم يحتقرونَها مع التمام، ويعتذرون من التقصير، ومنهم من يزيد على هذا فيتشاغل بالشكر على التوفيق لذلك، ومنهم من لا يرى ما عمل أصلًا لأنه يرى نفسه وعمله لسيده، وبالعكس من المذكور عن أرباب الاجتهاد حال أهل الكسل والشر

والشهوات، فإن ارتدوا بعاجل الراحة لقد أوجب ما يزيد على كل تعب من الأسف والحسرة، ومَنْ تلمَّح صبر يوسف عليه السلام وعجلة ماعز، أي: في التوبة، بان له الفرق وفهم الربح من الخسران، ولقد تأملت نيل الدر من البحر فرأيته بعد معاناة الشدائد، ومن تفكر فيما ذكرته مثلًا بانت له أمثال، فالموفق إذا ما تلمح قصر الموسم المعمول فيه وامتداد زمان الجزاء الذي لا آخر له انتهب أي: حرص حتى اللحظة، وزاحم على كل فضيلة فإنها إذا فاتت فلا وجه لاستدراكها، أوليس في الحديث يقال للرجل: «اقرأ ارق فمنزلتك عند آخر آية تقرأها»[1]، فلو أن البكر عمل في هذا حق العمل، حفظ القرآن عاجلًا» انتهى كلامه رحمه الله.

---

(١) رواه الترمذي ح(٢٩١٤) وأبو داود (وتر، ٢٠) وأحمد (٢/١٩٢) والبيهقي (٢/٥٣) والحاكم (١/٥٥٢، ٥٥٣) من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبدالله بن عمرو عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها».
وعاصم ثقة في القراءات إلا أنه ساء حفظه في الحديث، ولم يخرج له الشيخان إلا مقرونًا، وقد تفرد بهذا الحديث.
وروى ابن ماجه (٣٧٨٠) وأحمد (٣/٤٠) من حديث شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد نحوه وعطية ضعيف.
والحديث صححه الألباني: صحيح الجامع (٨١٢١، ٨١٢٢) وصحيح أبي داود (١٣١٧).

المظهر الرابع: الاستجابة للنفس الأمـارة

الاستجابة لشـــهواتها وملذاتها، بل وتمكينها قيادة العقــل وتغييبه، حتى لم يعد يصبح للنفس اللوامة مكانٌ.

فمات الشعور بالذنب، ومات الشعور بالتقصير، لذلك ظن كثير من المسلمين أنه على خير، بل ربما لم يرد على خاطره أنه مقصر، فبمجرد قيامه بأصول الدين، وبمجرد محافظته على الصلوات، بل ربما والتزامه في الظاهر، ظن في نفسه خيرًا عظيمًا.

رأى نفسه فظن فيها خيرًا عظيمًا ولكن ما كيفية هذا القيـام؟

وما حقيقة هذا الالتزام؟ وهل قبل الله منه أم لا؟

بل لماذا نسي مئات بل آلاف من الصغائر التي تجمعت عليه من الذنوب والمعاصي؟

ففي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها

صاحبها تُهلكه»[1]. أخرجه أحمد بسند حسن.

فأعجبتنا أنفسنا وأعمالنا، فرضينا على ما نحن عليه وأعلنا الاكتفاء وعدم المزيد فكانت النتيجة السلبية ودنو الهمة، وعدم التطلع لما هو أفضل وأحسن؟

وربما نظر أحدنا إلى من هو دونه في العبادات فأعجبته نفسه، وتقاعس عن كثير من أبواب الخير.

وانتبه لشعر هذا الكناس وعزته، قال الأصمعي: مررت بكناس بالبصرة ينشد ـ كناس يكنس الشوراع ـ يقول:

فإياك والسكنى بأرض مذلة
تعد مسيئًا فيه إن كنت محسنًا

ونفسك أكرمها وإن ضاق مسكن
عليك بِها تطلب لنفسك مسكنًا

هذا الذي يقوله الكناس، والله، لم يبق بعد هذا مذلة، وأي مذلة بعد الكنس، فقال الكناس: والله لكنسي ألف مرة أحسن من القيام على باب مثلك، هكذا تكون عزة المسلم، أيا كان

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٣١) والبيهقي في الشعب (٧٢٦٧) من حديث سهل بن سعد وروى البيهقي نحوه في الشعب (٧٢٦٢) موقوفًا على ابن مسعود. وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في الصحيحة (٣٨٩) وصحيح الجامع (٢٦٨٦،٢٦٨٧).

ذلك العمل الذي يقوم به ما دام يقوم به لله عز وجل.

المظهر الخامس: كثرة الجلسات والدوريات وضياع الأوقات

وهذا من أكبر المظاهر التي ظهرت وانتشرت أخيرًا، فإنك تبحث عن شبابنا ورجالنا وربما عن فتياتنا ونسائنا فتجدهم مساء كل يوم ربما في الاستراحات والدوريات وعلى الأرصفة وعلى الشاطئ.

وليس الخطر في الاجتماعات ذاتها، بل في كثرة الكلام، دون عمل يفيد الأمة وينفع الأجيال، وكثرة الجدال والمراء.

هذا إن سلمت الجلسات من الغيبة والنميمة والجرح والسلب وتنقص الآخرين، وسلمت من وسائل اللهو المحرم.

وإلا عندها؛ فإن الطامة أعظم إنك تتألم أشد الألم، وأنت تعلم أن في تلك الجلسات أعدادًا هائلة من أصحاب الطاقات والمواهب والعقول والأفكار، يلتقون على الأقل في الأسبوع مرة واحدة، أي في السنة أكثر من ثمان وأربعين لقاء، واللقاء الواحد لا يقل عن خمس ساعات ربما تزيد أو تقل فما هي النتيجة؟

بماذا خرجوا بعد تلك الاجتماعات الطويلة وماذا قدموا

لأنفسهم؟ وماذا قدموا لعقيدتهم؟

وما هي حصيلة العلم التي كسبوها من هذه الجلسات؟

والموضوع يحتاج بلا شك إلى دراسة وتأمل وتوجيه مفيد لاستغلال مثل هذه الجلسات، ومثل هذه الدوريات والاجتماعات.

لكن هذه إشارة سريعة لنعلم حجم السلبية في مجتمعنا المسلم، وبالتالي حجم الخسارة لكثير من طاقاتنا ومواهبنا وعقولنا وأفكارنا، بل وأوقاتنا حتى وأعمالنا، فقد نما إلى علمي أن هناك شبابًا لهم جلسات ودوريات في كل يوم، حتى أصبحت همه وشغله الشاغل.

فلماذا هذا التنصل من الواجبات؟ ولماذا هذا الهروب من الواقع؟

أيعقل أنهم لا يعلمون أنهم مسئولون عن هذا الواقع المرير للأمة الإسلامية؟

أيعقل - أيها الأحبة - أن هذه الأعداد الغفيرة التي تجلس على الأرصفة وفي المجالس والدوريات والاستراحات وغيرها أنهم لا يعلمون أنهم مسئولون أمام الله عز وجل عن هذا الواقع المرير عن حال الأمة الإسلامية؟

قد يقول قائل منهم: ماذا نقدم؟ ماذا باستطاعتنا أن

نقدم؟

أقول: والله، إن باستطاعتك الكثير، لو فكرت أنت وأصحابك أن تستغلوا هذه الجلسات، أولًا: لنفع أنفسكم، وثانيًا: لنفع أولادكم وأهليكم، ثم بعد ذلك لنفع أمتكم.

إن مَنْ فكر وجَدَّ وإن مَنْ حرص وحمل الهمَّ عرف كيف يعمل، أما الجلوس في المجالس وعلى الأرصفة والاستراحات والكلام والقيل والقال، بما لا ينفع فإن هذا ضياع للأعمار والأوقات والطاقات والمواهب والأفكار والعقول، والله، إن كل فرد منا عليه حجم من المسئولية مهما كان.

لا تلم كفي إذا السيف نبا
صح مني العزم والدهر أبى
مرحبا بالخطب يبلوني إذا
كانت العلياء فيه السببا

المظهر السادس: عدم الاستعداد للالتزام بشيء

التهرب من كل عمل جدي، وعدم الاستعداد للالتزام بأي شيء، خداع النفس بالانشغال وهو فارغ.

كم من الناس إذا كُلِّف بأمر قال: مشغول، وفي حقيقة أمره أنه ليس بمشغول.

أو أنه مشغول بمثل هذه الجلسات ومثل هذه اللقاءات.

أو الانشغال في شهوات النفس وملذاتها.

أو التسويف والتأجيل وتأخير الأعمال والغفلة والنسيان المستمر لما كُلِّفَ به.

والأخطر من ذلك كله النقد المستمر لكل عمل إيجابي، وتضخيم الأخطاء، كل ذلك تبرير لعجزه وسلبيته القاتلة.

بعض الناس لا يعمل، ويا ليته لا يعمل فقط، بل جعل نفسه رافضًا لأعمال إخوانه، مرة بالنقد، ومرة بالجرح، ومرة بالتثبيط والتخذيل والتنصل من المشاركة والعمل.

فكلما طلبناه في مكان قال لنا: مشغول.

وكلما كلفناه بالمشاركة قال: لا أستطيع.

بل كلما حدثناه في أمر كان لنا مثبطًا ومخذلًا.

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه
فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العلياء ترقى إلى العلا
فمن كان أعلى همة كان أظهرا

ولم يتأخر من أراد تقدما
ولم يتقدم من أراد تأخرا

إذًا فلكل شيء سبب فإذا أردت أن تجعل نفسك في مكانها فلتتخذ لها ما ترضاه أنت لها.

* * *

المظهر السابع: تعطيل العقل

وتعطيل العقل موضوع يطول، تعطيل العقل وعدم التفكير، وإن فكر كثير من المسلمين والمسلمات واستخدم عقله فإذا هو يفكر فيما هو يحبه ويشتهيه كالرحلات والصيد والجلسات والملذات، وكأنها الهدف الذي خلق لها، فحبطت اهتماماته وسفلت غاياته فلا قضايا المسلمين تشغله ولا مصائبهم تحزنه ولا شئونهم تعنيه، وإن حدث شيء من ذلك فعاطفته سرعان ما تبرد ثم تزول.

نرى كثيرًا من الشباب والفتيات وكثيرًا من المسلمين أصحاب عقول وأفكار فعطلوها حتى أصبحوا أصفارًا على الشمال، فإما تقليد وإما تبعية للآخرين عمياء، وإما سكر للعقل بشهواته وحتى إن كانت مباحة.

هذا كلام للجميع للرجال والنساء ملتزمين وغير ملتزمين، فلكل حظ ونصيب من تعطيل عقله.

المظهر الثامن: عقدة المستحيل أو لا أستطيع أو لا أقدر

كم من المرات نضع بأنفسنا العقبات والعراقيل أمام كثير من مشاريعنا؟

نحن بأنفسنا نصنع العقبات ونصنع العراقيل والواقع يشهد بهذا.

فلماذا عذر المستحيل، وعذر عدم القدرة هي الورقة التي نلوح بها دائمًا؟ فنغلق نحن بأيدينا الأبواب في وجوهنا.

والله، أيها الإخوة، لو فكرنا وحاولنا لوجدنا أن كثيرًا من العقبات والعراقيل التي تقف أمامنا إنما هي عراقيل وعقبات وهمية، وما هي إلا حيل نفسية.

فكِّر جيدًا وارجع لنفسك وحاسبها، وستجد أننا بأنفسنا نعوق أنفسنا عن العمل، فكل أمر بمقدور البشر أن يفعله لا يمكن أبدًا أن يكون مستحيلًا.

كل أمر بمقدورك أنت أيها الإنسان أن تفعله لا يمكن أن يكون مستحيلًا أبدًا.

سئل نابليون: كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أفراد

جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث، من قال: لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف، قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرب.

هكذا إذًا أقول لك: لا تيأس اجعل هذه الكلمة شعارًا لك، لكل عمل تقوم به، فلكل مجتهد نصيب، وإن من أدمن قرع الباب ولج.

قم رابط الجأش وارفع راية الأمل
وسر إلى الله في جد بلا هزل

وإن شعرت بنقص فيك تعرفه
فغذ روحك بالقرآن واكتمل

وحارب النفس وامنعها غوايتها
فالنفس تَهوى الذي يدعو إلى الزلل

قال ابن الجوزي: «فصل نشدان الكمال ـ أي طلب الكمال ـ وقال فيه: فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات، لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، فلو كانت النبوة مثلًا تأتي بكسب، لم يجز له أن يقنع بالولاية، ولو كانت تحصل بالاجتهاد رأيت المقصِّر في تحصيلها في الحضيض، غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، أو تصور أن يكون مثلًا خليفة لم يحسن به أن يقتنع بإمارة،

ولو صح له أن يكون مَلَكًا لم يرض أن يكون بشرًا، والمقصود أن ينتهي بالنفس إلى كمالها الممكن لها بالعلم والعمل». انتهى كلامه. رحمه الله ..

المظهر التاسع: التثبيط والتيئيس للآخرين

فإن الرجل الصفر لا يكتفي بما أسلفتُ بعدم المشاركة بل أصبح قاطع طريق وعونًا للشيطان وحزبه، فتجده يخلق الأعذار والأسباب، وربما ألبسها الصبغة الشرعية لتبريره لعجزه وعدم مشاركته.

وصدق الأحمر النحوي بقوله:

لنا صاحب مولع بالخلاف   كثير الخطإ قليل الصواب

ألد لجاجًا من الخنفساء   وأزهى إذا ما مشى من غراب

فليس لديه الشجاعة للاعتراف بالخطأ والتقصير، وليس لديه الاستعداد للعمل والمشاركة، ولكنه على أتم الاستعداد للنقد والتجريح والسلب والتقبيح، فإلى الله وحده نشكو أمثال هؤلاء.

ألا فليتق الله هؤلاء الإخوة الذين نصبوا أنفسهم مثبطين ومخذلين لإخوانهم، ونصبوا أنفسهم قاطعي طريق للأعمال

الخيرية في كل مكان، ولذلك فنحن نقول لأمثالهم: كن عونًا لإخوانك أو على الأقل اعمل ولو وَحْدَكَ، فإن الهدف واحد والغاية واحدة، فإن لم يكن هذا ولا ذاك فما أجمل الصمت! ما أجمل الصمت! «فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[1]، وإن المثبط لإخوانه ليُخشى عليه، والله، أن يبوء بإثمه وإثم الآخرين، وأذكِّر هنا بقول الحق عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ فلينتبه! فلينتبه! وليحذر أولئك النفر.

المظهر العاشر: الضعف والفتور أثناء أوقات العافية، أو في مراحل العمل الجاد

فإنك تكاد لا ترى للرجل الصفر نشاطًا ولا تعرف عنه جدًّا، فإذا وقعت مصيبة أو وقعت فتنة أو كان الخلاف رأيته وأصحابه ينشطون، وحول الحرص على الدعوة يتحدثون، وفي التخطيط ومعرفة العمل هم يلهجون، وفي الناس هم يصنفون ويقسمون وصدق الشاعر يوم أن قال:

(١) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وأبي شريح العدوي - رضي الله عنهما -.

وإخـوان عـهـدتـهـمُ دروعـا
فـكـانـوهـا ولـكـن لـلأعـادي
وخـلـتـهـمُ سـهـامًـا راميـات
فكـانـواهـا ولـكـن في فـؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب
فقد صدقوا ولكن عن ودادي

ولكني أقول كما قال الآخر أيضًا:

عداتي لهم فضل علي ومنة
فلا أبعد الرحمن عني الأعادي
همو بحثوا عن ذلتي فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعالي

والوقائع أيها الأحبة والأحداث والفتن هي التي تميز بين أناس وأناس، فإن لكل من الحق والباطل رجالًا، كما أيضًا أن الحق يحمله رجال وينافحون عنه، فكذلك الفتن لها رجال يحملونها ويدعون الناس لها ويتحملون كبرها.

ولكن بين حملة الحق والصابرين عليه ودعاة الفتنة جمهور يتنازعهم الخير والشر، ومن هنا ينبغي الحذر من دعاة الفتن ومن يتأثر بهم من الرعاع وضعاف النفوس وأتباع الهوى.

وما أجمل ذلك القول لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى

عنه ـ الذي نقله الشاطبي في كتاب الاعتصام فقال ـ أي علي: «إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا لنور وثيق، أفٍّ لحامل حق لا بصيرة له، ينقدح الشك في قلبه في أول عارض من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر، شغوف بما لا يدري حقيقة، فهو فتنة لمن فتن به» إلى آخر كلامه ـ رحمه الله تعالى، ورضي الله عنه.

هذه عشر مظاهر من مظاهر الرجل الصفر ثم إني أسوق إليك أيها الرجل المحب أسوق إليك أيضًا أسبابًا للسلبية ودنو الهمة، لماذا الرجل الصفر أصبح رجلًا صفرًا؟ لماذا كثير من المسلمين والمسلمات أصبحوا فعلًا أصفارًا على هامش الحياة؟ أصبحوا لا معنى لهم لا قيمة لهم، لا يقدمون شيئًا لأنفسهم، فضلًا أن يقدموا شيئًا لعقيدتهم ودينهم وهدفهم ومبدئهم، لماذا؟ لهذه الأسباب التي اجتهدت فيها وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقني للصواب.

* * *

أسباب السلبية ودنو الهمة

السبب الأول

الجهل أو الغفلة عن الغاية التي من أجلها خلق

فأقول لكل إنسان ولكل إنسانة: ألست مسلمًا أولستِ مسلمة؟ أما ترضى بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا؟

ألا تعلم أن الغاية التي من أجلها خلقنا هي تحقيق عبودية الله عز وجل في الأرض؟ هذا هو الهدف الذي من أجله خلقنا، تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى على وجه هذه الأرض.

ألا تعلم أن العبادة هي الغاية التي من أجلها خلقت، أيها الأخ الحبيب؟

إن بعض الناس قد يجهل الهدف الذي من أجله خلق، وبعض الناس قد يعلم ولكنه يغفل وتغفله شهوات الدنيا ولذاتها عن ذلك الهدف.

ألا تعلم أن المعنى الصحيح لذلك الهدف الذي من أجله

خلقنا وهو عبادة الله ﷻ، ولكنها ليست العبادة فقط في المسجد أو ليست الصلاة والصيام والحج والزكاة، لا وألف لا، وإنما العبادة التي يريدها الله ﷻ العبادة بمفهومها الشامل الكامل التي عرفها أهل العلم فقالوا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هكذا يريد الله ﷻ أن تكون العبودية، يوم أن تكون العبودية في كل شأن من شئون حياتك أيها المسلم.

تكون العبودية لله ﷻ في مسجدك، وفي بيتك، وفي وظيفتك، وفي شارعك، وفي تجارتك، وفي كل مكان ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

هكذا هي العبودية.

هكذا هو الهدف الذي من أجله خلقنا.

وهكذا يريده الله ﷻ.

عندها يعلم الإنسان أن كل حركة وكل سكنة، وكل نَفَس، كل شيء يعمله هو يؤجر عليه إن أخلص النية لله ﷻ، وهو عبادة لله.

حتى وأنت تجامع زوجتك وأنت تجامع أهلك، ألم يقل ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة»[1].

(١) جزء من حديث رواه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر رضي الله عنه.

حتى وأنت تمارس الرياضة، ألم يقل ﷺ «وإن لجسمك عليك حقًّا»[(١)]، حتى وأنت تخرج مع إخوانك وأصدقائك تخرج معهم للجلسات والاستراحات فإنه لإدخال الراحة والاستجمام والانبساط إليهم، فقد قال ﷺ «ابتسامك في وجه أخيك صدقة»[(٢)].

المهم، أخْلِصِ النية في ذلك لله عز وجل واحتسب ذلك عند الله سبحانه وتعالى.

والمهم، هو أن يكون ذلك العمل مرضيًا لله عز وجل.

إذًا بعد ذلك اعمل ما شئت وقل ما شئت، بهذين الشرطين أن يكون خالصا لله وأن يكون الله عز وجل راضيًا عنه.

اعمل وتابع في ذلك رسول الله ﷺ هذه هي العبادة.

ألا تعلم أن العبادة غاية الذل لله مع خالص الحب له؟ فأي

(١) جزء من حديث رواه البخاري (١٩٧٥)، (٥١٩٩)، (٦١٣٤)، ومسلم - كتاب الصيام - ح (١٨٢، ١٩٣)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا. ولكن فيه بلفظ: «وإن لجسدك عليك حقًّا»

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي (ح ١٩٥٦) وغيره عن مرثد بن عبدالله الرماني عن أبي ذر مرفوعًا.
ومرثد مجهول العين لم يرو عنه سوى ابنه مالك.
ولهذه اللفظة شاهد عند مسلم (٢٦٢٦) وغيره بلفظ: «لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

حب لله هذا الذي أقعدك؟

أين البينة على هذه المحبة؟ فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي.

فلا تقبل إذًا الدعوة إلا ببينة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فإذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب ﷺ أثمرت أنواع الثمار.

وهذا ما نريده؛ اسمع لأمنية ربيعة بن كعب الأسلمي، قال ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة[١] انظر للأمنية، وانظر للهمة العالية، فإن ربيعة ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ كما يقول أيضًا الحديث في لفظ للإمام أحمد في مسنده ـ يقول ربيعة: قلت: أنظرني يا رسول الله، حتى أنظر في نفسي أو في أمري، يقول: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن فيها رزقًا سيكفيني ويأتيني، فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي، فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، قال: فأتيت رسول الله ﷺ فقال لي: «ما فعلت يا ربيعة؟» قال: قلت: أسألك أن تشفع لي

(١) رواه مسلم ح (٤٨٩).

إلى ربك فيعتقني من النار، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمَرَكَ بهذا يا ربيعة؟» وكان ربيعة شابًّا، قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أمرني به أحد، ولكنك قلت سلني أعطك، وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به، ففكرت في أمري وعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن لي فيها رزقًا سيكفيني، فقلت أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي قال: فصمت رسول الله ﷺ ثم قال: «إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود»[1].

هذه هي أمنية ربيعة وهذه هي الهدف الأول عند ربيعة رضي الله تعالى عنه وأرضاه ..

إذًا فالهدف دائمًا يكون في مخيلة كل مسلم، الهدف الذي من أجله خلقت هو الفيصل في كل أعمالك وأقوالك وأفعالك وتصرفاتك.

فلابد أن يكون الهدف واضحًا لكل مسلم، فهو الضابط له في أعماله وهو الضابط لحبه وبغضه لأكله وشربه لشكله ولبسه، لذهابه ومجيئه لقيامه وجلوسه لزوجته وأولاده، لأصحابه وخلانه، لكل شئون الحياة صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها.

---

(١) رواه أحمد (٤/٥٩) من حديث ابن إسحاق قال حدثني محمد بن عمرو ابن عطاء عن نعيم المجمر عن ربيعة به كعب به.
قلت: وإسناده حسن.

أما إذا ضاع الهدف أو لم يتضح له فإن الإنسان يتخبط فمرة في ضياع ومرة في هموم، ومرة في صلاح ومرة في شقاء، وهكذا لا يدري من يرضي ذلك المسكين، حتى وإن كان له عقل وبصر، هكذا إذا ضاع الهدف من الإنسان.

إذًا فأول أسباب السلبية ودنو الهمة هو ضياع الهدف أو الجهل بالغاية التي من أجلها خلقت أيها الأخ الحبيب.

السبب الثاني

صحبة ذوي العزائم الواهنة والهمم الدنيئة

وهذا السبب من أكثر الأسباب تأثيرًا، فإن الإنسان سريع التأثر بمن حوله، ولهذا كان التوجيه النبوي: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[١]. والحديث أخرجه الترمذي

---

[١] رواه أبو داود والترمذي ح(٢٣٧٨) من حديث زهير بن محمد، حدثني موسى بن وردان عن أبي هريرة به.
وزهير بن محمد فيه كلام إلا أن رواية أبي داود وأبي عامر عنه ـ كما هنا ـ مستقيمة بخلاف رواية الشاميين عنه.
وموسى بن وردان صدوق يحسن حديثه إلا ما رواه عنه محمد بن أبي حميد، ومحمد بن عمرو بن عطاء صدوق يحسن حديثه.
والحديث ذكره الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع (٣٥٤٥) وحسنه

في كتاب الزهد، وأحمد في كتاب الأدب، وقال الترمذي عنه: حسن غريب وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع.

أقول: إن هذا من أهم أسباب السلبية ودنو الهمة، حتى وإن كان أصحابك من الصالحين.

لا تعجب، نعم حتى وإن كان أصحابك من الصالحين ومن أهل الخير، فما داموا أصحاب همم ضعيفة وعزائم واهنة ولا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية والأنس والضحك وقضاء الأوقات بدون فائدة، فلا خير فيهم، بل إن صلاحهم حجة عليهم يوم أن يقفوا بين يدي الله عز وجل.

فعلى العاقل ألا يغتر بصحبة الصالحين تاركًا عيوب نفسه، بل هذه حيلة نفسية يجب التنبه لها.

قال عمر بن عبدالعزيز: إن لي نفسًا تواقة، لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلم وإلى العربية والشعر فأصبت منه حاجتي وما كنت أريد، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش والطيب، فما علمت أن أحدًا من أهل بيتي ولا غيره كان في مثل ما كنت فيه، قال: ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل فأنا أرجو إلى ما تاقت به نفسي من أمر آخرتي، انتهى كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ.

هكذا تكون النفس التواقة، هكذا تكون النفس المؤمنة؛ كلما

رغبت بأمر، استطاعت أن تحصل عليه.

هكذا تكون النفوس مجاهدة صابرة متحملة حتى تنال ما تريد.

فجاهد نفسك يا أخي الحبيب. . جاهدي نفسك أيتها المسلمة، لا نستطيع أن نصل إلى ما يريده الله ﷻ من العزة والتمكين إلا بمجاهدة هذه النفوس، لنجاهد أنفسنا ولنقل لها:

ذريني أنل ما لا ينال من العلا
فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة
ولابد دون الشهد من إبر النحل

السبب الثالث

نسيان الذنوب والغفلة عنها، وقتل الشعور بالخطأ

أو إن شئت فقل: ضياع الوازع الديني أو النفس اللوامة.
أو إن شئت فقل أيضًا: قلة الخوف من الله ﷻ.

سبب من الأسباب التي جعلت كثيرًا من الناس صفرًا، أصبح هذا الرجل الصفر أسيرًا لذنوبه فهو لا يستطيع التخلص

منها، فلا هي - أي الذنوب والمعاصي - دفعته إلى العمل الصالح والإكثار منه لعلها تكون سببًا لمحوها وغفرانها، وهذا هو الأصل.

الأصل في المسلم أنه إذا أذنب ووقع في السيئات أن يسارع ليعمل الأعمال لعلها تمحو تلك الذنوب والسيئات، ولذلك قال الحق عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقال ﷺ «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[1].

هذا هو الأصل ولكن الرجل الصفر كان أسيرًا لذنوبه فلا هي التي دفعته للعمل الصالح، ولا هي أيضًا التي جعلته ينظر لنفسه بل جعلته أسيرًا مسكينًا ضعيفًا خامل النفس أسيرًا لها.

الرجل الصفر أسير للمعاصي والذنوب قيدته وكبلته، فإذا حدثته بالعمل والتحرك شكا لي ضعفه وكثرة ذنوبه.

بل ربما ظن بعض الصالحين بكثرة ذنوبه ظن بنفسه النفاق حتى وإن تحرك وعمل، أو إن تحرك وعمل قال: أنا منافق، وهو ما زال على ذنوبه ومعاصيه.

وفي السلسلة الصحيحة ح(٩٢٧).

(١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد عن أبي ذر، ورواه الترمذي وأحمد عن معاذ بن جبل، والحديث لا يخلو طريق فيه من مقال، وحسنه الألباني - رحمه الله - بطرقه. انظر: صحيح الجامع (٩٧)، والبيهقي في الشعب

وهذه شبهة أحرقت علينا كثيرًا من الطاقات والعقول والأفكار.

نرى كثيرًا من الشباب صاحب معاصٍ وصاحب ذنوب فإذا قلنا له: اعمل وقلنا له: أكثر من النوافل قال: أنا أخشى أن أكون منافقًا لماذا؟ قال: لأني آتي إلى المسجد وأدخل وأصلي، وأنا صاحب ذنوب ومعاصٍ كثيرة.

إذًا فالحل في نظره أن يقعد عن العمل، الحل في ظنه أن يبعد عن الساحة، أن يبقى داخل قفص الشيطان، وأوهامه مع الذنوب والمعاصي.

وغفل هذا المسكين عن أن خير علاج للذنوب وخير علاج للسيئات والتقصير، هو العمل وكثرة التوبة والاستغفار، فإن أبى، فإني أخشى عليه من الانحراف، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

السبب الرابع

الزهد في الأجر وعدم الاحتساب والغفلة عن أهمية الحسنة الواحدة

وهذا لاشك نتاج الغفلة عن الموت ونسيان الآخرة، وإلا فإن

المؤمن مجزي على مثقال الذرة، كما أنه محاسب عليها أيضًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة:٧]

إن قلب المؤمن والمؤمنة، ذلك القلب الحي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر.

وفي الأرض قلوب لا تتحرك لجبل من الذنوب والمعاصي والعياذ بالله.

لماذا نعمل؟

لنسأل أنفسنا. اسأل نفسك أيها الأخ الحبيب واسألي نفسك أيتها الغالية: لماذا نعمل؟

لماذا نتحرك؟

لماذا نحبس أنفسنا عن الشهوات؟ مع أن الله عز وجل جبل هذه النفس على الشهوات وحبها فلماذا إذًا نحرمها من الشهوات؟

لماذا نحرم أنفسنا من الجلسات؟

لماذا نجاهد أنفسنا؟ لماذا تبح أصواتنا؟

لماذا نصرف أموالنا؟ لماذا نغض أبصارنا؟

لماذا نحفظ أسماعنا عن سماع الحرام والغناء وغيره؟

لماذا نمسك اللسان عن الكلام؟

ولماذا نطعم الطعام؟

ولماذا نكثر الخيرات ونكثر السلام؟

ولماذا نحرص على القيام والصيام؟ لماذا كل هذا؟

الإجابة واحدة، الإجابة قول الحق ﷻ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ١٠]

يظن أصحاب الشهوات والمعاصي أنه ليس في أنفسنا توقًا ولا شوقًا إلى هذه الشهوات، بل والله، إن في أنفس الصالحين شوقًا إلى كثير من الشهوات أيًا كانت هذه الشهوات؛ شهوة المال، أو شهوة الفرج، أو شهوة البطن، أو غيرها من الشهوات.

لكن ما الذي يردنا؟ ما الذي يمنعنا؟ إنه خوف الله ﷻ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ١٠]

لعلنا نسمع النتيجة نسمعها بفرح وسرور يوم أن يقول الحق ﷻ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ١١-٢٢].

جزاءً على ما صبرتم جزاءً على ما حبستم النفس عن شهواتها، جزاءً على ما تكلمتم ونصحتم وأنكرتم وأمرتم، جزاءً على ما بذلتم من أموالكم وفعلتم وتقدمتم وتحركتم، جزاءً على كل خير كان كلمة أو فعلًا، جزاءً على كل شيء قدمتموه بهذه الدنيا ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

السبب الخامس

الخوف والأوهام

الخوف أكل قلب الرجل الصفر، أكل قلوب الكثيرين، وهم أحياء، نعم، فهم يرون ما يجري لبعض الدعاة، ولأجل هذا تعطلت الأعمال في زعمهم، وتوقفت الدعوة، فهو يخاف على نفسه تارة، وعلى ولده وعلى عمله، وربما ظن أن كل الناس يراقبونه ويلاحقونه، وهكذا تستمر الأوهام والتخيلات حتى

وقع فريسة لها، وقعد عن العمل.

ونحن نقول: نعم إن طريق الدعوة إلى الله مليء بالعقبات والأشواك، ولولا، والله، هذه العقبات وهذه المعوقات لشككنا في طريقنا، ولكن أن نعطل أعمالنا ونحسب كل صيحة علينا، ونغلق كل الأبواب حتى وإن كانت مفتوحة مفسوحة، فلا، بل هي والله وسوسة شيطان.

اسمع لقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وإذا سمع المؤمن أقوال المثبطين الخائفين ذكر قول الله مباشرة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ورحم الله أصحاب تلك الهمم العالية، يوم أن كانوا يطلبون الموت ويبحثون عنه في كل ساحة، أخرج النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء من حديث شداد بن الهاد أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة، غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما

هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ فقال النبي ﷺ «قسمته لك». قال الأعرابي: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم، فأموت فأدخل الجنة.

الله أكبر، هكذا كانوا يطلبون الموت - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا فأموت فأدخل الجنة، فقال النبي ﷺ «إن تصدق الله يصدقك». فلبثوا قليلًا ثم نَهضوا في قتال العدو، فأوتي به إلى النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه». ثم كفنه النبي ﷺ في جبته، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته؛ أي في دعائه: «اللهم؛ إن هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك» والحديث صحيح كما قال الألباني في صحيح النسائي[١].

وانظر أيضا تأثير بنات المحدِّث، إلى تأثير بنات المحدِّث الثقة عاصم بن علي بن عاصم أحد شيوخ الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما - ومن أقران شعبة بن الحجاج

(٨٠٢٣-٨٠٢٨).

(١) ورواه الترمذي ح (١٩٥٣) (٤/٦٠) من حديث ابن جريج قال: أخبرني عكرمة بن خالد أن ابن أبي عمار أخبره عن شداد بن الهاد أن رجلًا من

وكيف صبر في محنة الإمام أحمد وتقوَّى على الثبات عندما كتبت إليه بناته بتثبيته على الحق.

انظر ماذا قالت البنات، انظري أيتها الصالحة، كيف تكون الصالحة معينة لزوجها الصالح فقالت البنات: يا أبانا إنه قد بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل فضربه على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله ولا تجبه فوالله، لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت. ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه، فأي أثر ستلقيه هذه الكلمات في نفس عاصم بن علي؟!

إن هذه الكلمات لم تأت من فراغ بل من تربية جادة على الهمة العالية، والغاية المنشودة. فأين نحن من ذلك مع أزوجنا وأولادنا وبناتنا، إن همة بعضهم لا تتعدى شهواتهم الدنيا ولذاتِها، فأي تربية هذه التي يعيشها المسلمون اليوم مع أولادهم وبناتهم وأنفسهم، والله المستعان.

قال ابن القيم ـ رحمة الله تعالى عليه ـ:

واحمل بعزم الصدق حملة مخلص
متجرد لله غير جبان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى
فإذا أُصِبْتَ ففي رضا الرحمن

والحق منصور وممتحن فلا
تعجب فهذي سنة الرحمن
لكنما العقبى لأهل الحق إن
فاتت هنا كانت لدى الديان

السبب السادس

التردد والتذبذب والحيرة والارتياب

هذا السبب جعل كثيرًا من الناس سلبيًا، وجعل كثيرًا من الناس صفرًا، فلا يدري من يرضي؟ ولايدري من يتبع؟ ولقلة علمه وضعفه أصبح كالريشة في مهب الريح، تؤثر فيه الأقوال المزخرفة.

وأقول لمثل هذا وأشكاله: إن منهج أهل السنة والجماعة وهدي السلف الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - واضح بيّن لا غموض فيه ولا تزلف لأحد، يشيع في النفس راحة واطمئنانا، والالتزام به عامل مؤثر في الاستقرار والاستمرار، فعض عليه بالنواجذ، وانبذ أهل الهوى وجرح الناس ونبذهم، وعليك بالعمل الجاد؛ فإنه خير دليل على سلامة المنهج، فإن الله يطالبنا بالعمل وليس بالجدال والمراء وتتبع الزلات والأخطاء.

فاثبت ـ بارك الله فيك ـ واترك التردد والحيرة، وأكْثِر بل أكْثِر دائمًا قوله ﷺ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد»[(١)]، فإذا حصل الثبات أولًا والعزيمة ثانيًا أفلح كل الفلاح ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إياك والتردد فإذا عزمت في الأمر فتوكل على الله

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

السبب السابع

عدم الثقة بالنفس والورع الكاذب

فتجده يعتذر عن إلقاء كلمة لأنه لا يستطيع، وهو قادر لكنه الخوف من الفشل والتهيب من المواجهة، وهكذا في كل أمر يعرض عليه، فتقتل الطاقات وتموت المواهب ولا شك أنه مسئول عنها أمام الله. فأعد للسؤال جوابًا، وإذا لم تستطع شيئًا

الأعراب جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم . . . الحديث.

(١) رواه الترمذي ح(٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤) وأحمد (١٢٥/٤) من حديث شداد بن أوس، وفيه مبهم.

فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع، أما أن تجلس وأما أن تقعد وأن تتسكع بين شهوات النفس ولذاتها، فهذا لن نرضاه أبدا، فمتى تتخلص من عقدة (لا أستطيع ولا أقدر)، وإذا قلنا له مثل ذلك قال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وأقول: إن في وسعك الكثير فحاول وجرب وإن لم تنجح، أليس في هذا معذرة إلى ربكم ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٧]

ثم إني أنبهك إلى أمر نغفل عنه كثيرًا وهو مهم للغاية ألا وهو أن الأخيار والنبلاء والعلماء ما برزوا إلا بالشجاعة والثقة بالنفس، وإلا فإن عند غيرهم بضاعة وكنوزًا، ولكنهم تخوفوا وجبنوا فما شعوا وما لعوا:

حب السلامة يفني عزم صاحبه
عن المعالى ويغري المرء بالكسل

* * *

السبب الثامن والأخير

أمراض القلب كالحسد وسوء الظن والغل

فإذا أصيب القلب بهذه الأمراض انشغل بالخلق عن الخالق، وزادت همومه، وكثر كلامه، فلا تسمعه إلا متنقصًا للآخرين، مغتابًا لهم، لا هم له سوى الكلام والقيل والقال، بل هو يحزن لفرح أخيه ويفرح لحزنه.

وبلية البلايا أنه يرى أنه على حق، وكل من خالفه فهو على باطل ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر:٨].

وربما عرف أنه أخطأ واكتشف الخلل ولكنها الشهوة الخفية ـ أعاذنا الله منها ـ في التصدر والترفع وحب الرياسة أهلكته وأصمَّته، نعوذ بالله من ذلك.

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه
ويذكر عيبًا في أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره
وفيه عيوب لو رآها بِها اكتفى

وأقول: هل أنت رجل صفر أم لا؟ وهل أنت امرأة صفر أم لا؟ امتحان يسير لمعرفة النفس، أجب بينك وبين نفسك على

هذه الأسئلة السريعة.

انظر لنفسك عند قراءة كتاب بل رسالة من الرسائل الصغيرة.

انظر لنفسك عند حفظ شيء من القرآن والاستمرار عليه.

انظر لنفسك عندما تريد الإنفاق أو التردد في المقدار.

انظر لنفسك عند قيام الليل بل عند المحافظة على الوتر.

انظر لنفسك في الدعوة إلى الله والشح في الوقت لها.

انظر لنفسك عند طلب العلم والمواصلة والاستمرار على ذلك.

انظر لنفسك والشجاعة في إنكار المنكرات وتحمل الأذى في سبيل الله.

انظر لنفسك والاشتياق إلى الجنة والسعي لتكون من أهلها.

انظر لنفسك واهتمامها بالمسلمين وأحوالهم وهل تحزن لمصابهم؟ وضابط ذلك الدعاء لهم.

انظر لنفسك في الأعمال الخيرية والمشاريع الدعوية ومدى حرصك عليها والرغبة فيها.

أجب بنفسك على هذه الأسئلة السريعة وغيرها، حتى تعلم

هل أنت رجل صفر، أم أنك رجل ممتاز.

أجب على نفسك بصراحة فإن أول العلاج أن تعرف الداء، وأن تعرف أنك أخطأت، فاتهم النفس وقف معها وصارحها وعندها سينطلق الإنسان.

* * *

ما هو العلاج؟

❑ **أخيرًا ما هو العلاج وما هو الطريق؟**

● **أقول:** العلاج يتلخص بهذه النقاط السريعة:

❑ **أولًا: وضوح الهدف والغاية والمبدأ.**

وقد أسلفت الكلام عن هذا.

ماض وأعرف ما دربي وما هدفي
والموت يرقص لي في كل منعطف
وما أبالي به حتى أحاذره
فخشية الموت عندي أبرد الطرف

فرحم الله حرام بن ملحان يوم أن عرف هدفه في الحياة، حرام بن ملحان أرسله النبي ﷺ مع القراء لقبيلة من قبائل مشركي قريش، فكان يعرض عليهم رسالة رسول الله ﷺ ويبلغهم الرسالة فأشاروا إلى رجل أن اطعنه من خلفه، فأنفذ الرمح في ظهره فطعنه في ظهره، حتى أنفذ الرمح من صدره، فإذا بحرام - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - يلتفت إلى القاتل ويقول: الله أكبر الله أكبر، فزت ورب الكعبة فزت ورب

الكعبة(١).

سبحان الله يا حرام، إنك تغادر الدنيا وشهواتها، تغادر الزوجة والأولاد.

فأي فوز هذا يا حرام الذي فزت أنت به؟

ولكنه يعلم - رضي الله تعالى عنه - لماذا يعيش؟

إن أسمى أمانيه أن يموت في سبيل الله وإن أعظم أمانيه أن يصيبه أمر في سبيل الله عز وجل، إنه يقرأ في كتاب الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ورحم الله خبيب بن عدي يوم أن كان مصلوبًا على جذع وكان المشركون يقولون له: أترضى يا خبيب أن يكون محمد مكانك الآن؟

فماذا قال - رضي الله تعالى عنه -؟

قال: والله، لا أرضى أن يكون محمد بين أهله الآن تصيبه شوكة.

وذكره الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (١١٩٠) وضعفه.

(١) رواه البخاري (ح ٢٨٠١) ومسلم (٦٧٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ورواه البخاري (ح ٤٠٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم قال هذه الأبيات - وانظر للرجل الممتاز يوم أن يعرف الغاية التي من أجلها خلق -

قال رضي الله عنه:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل مَمنع

إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي
وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي
وقد بضعوا لحمي وقد يئس مطمعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو مُمَزع

وقد خيروني الكفر والموت دونه
وقد هملت عيناه من غير مجزع

وما بي حذار الموت إني لميت
ولكن حذار جحم نار ملفع

فوالله ما أرجو إذا مت مسلمًا
على أي جنب كان في الله مضجعي

فلست بمبدٍ للعدو تخشعًا
ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي[١]

العلاج الثاني: الخوف من الله

الخوف من الله خير زاد لعلو الهمة، احرص على خوف الله وأملأ قلبك بخوف الله، راقب الله، اعلم أن الله يراك، استعن بالله ـ تبارك وتعالى ـ، واعلم أنه معين لك في كل أمر.

اعلم أن الله مطلع عليك في كل حال وفي كل مكان وفي كل مقام.

فكِّر في هذه الأمور حتى يمتلئ قلبك تعظيمًا لله فإن من كان بالله أعرف كان لله أخوف.

---

(١) وقصة خبيب بن عدي رضي الله عنه مذكورة في نفس حديث القراء السابق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٤٠٨٦) وإن كان ذكر الشعر فيه مختصرًا، وقد ذكرالشعر مطولًا ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٦٩) قال: قال ابن اسحاق: ومما قيل من الشعر . . . فذكره. وقد صوبت الشعر منه أما آخر بيت فقد ذكر البخاري بيتان من هذه القصيدة، وهما قوله:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا
على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

❑ العلاج الثالث: مصاحبة أصحاب الهمم العالية

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقل لي من تصاحب، أقل لك من أنت.

❑ العلاج الرابع: النظر في سير المجتهدين وفي سير السلف الصالح وفي سير أصحاب الهمم والعزائم

اقرأ في السير والتراجم فلا تترك فضيلة وقفت عليها ويمكن تحصيلها إلا حصلتها فإن القنوع في الفضائل حالة الأراذل، فكن رجلًا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا.

❑ العلاج الخامس: التنافس على الخيرات والشعور بألم الفوات

اسأل نفسك بحق: كم يفوتك من الحسنات؟ كم من الناس اهتدوا فكانوا في موازين الآخرين؟

اسأل نفسك: لماذا لم يكن هؤلاء الذين اهتدوا في موازين أعمالك أنت؟

لماذا لا تكون أنت الذي مد يده بشريط أو مد يده بكتاب أو لسانه بكلمة طيبة أو عقله بفكرة أو طَرْح؟

فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨]

ويقول: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]

إن مجرد فكرة تقولها أيها الأخ، وتطرحها في مجلس من المجالس يُعْمَلُ بها، لك أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

من قال إن الوقف لله عَزَّ وَجَلَّ يجب أن يكون مالًا أو عقارًا؟! بل يمكن أن تطرح فكرة للمسلمين عامة فيعمل بها فتكون هذه الفكرة وقف لله ـ تعالى ـ أنت صاحب الوقف تؤجر عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

❑ العلاج السادس: فتش عما وراء الأكمة

أي: ربما كانت هناك أسباب أخرى خفية لسلبية بعض الناس، فربما كان فلانٌ شابًّا قويًّا جلدًا نشيطًا صاحب مواهب وابتكارات، لكنه صفر لماذا؟ بسبب سوء التخطيط أو سوء التوجيه فليتنبه لذلك المربون والموجهون فقد يكونوا سببًا رئيسيًّا في سلبية كثير من تلاميذهم ومَن تحت أيديهم.

وليس ذلك تبرئة للرجل الصفر، فإنه يجب عليه الحرص

والاجتهاد، وإنه يجب عليه ألا ينتظر الفرص بل يبحث عنها وأن لا ينتظر الموجِّه، فإن وُجِدَ وإلا فالتجربة خير برهان، فليتوكل على الله، ولينطلق.

* * *

وأخيرًا أقول:

وإنـي لَمُشْتَـاق إلـى غـايـة
من المجد يكبو دونَها المُتُطاول
بذول لمالي حين يبخل ذو النهى
عفيف عن الفحشاء قرم حلاحل

والحلاحل: هو السيد في عشيرته الأمير في مجلسه، نعم أيها الإخوة في الله فوصيتي لنفسي وإلى كل مسلم ومسلمة يؤمن بالله واليوم الآخر، ألا تضيع عليه ساعات عمره إلا بنفع وفائدة، فأنت والله، مسئول أمام الله ﷻ، أن تعمل ما بوسعك وألا تحتقر نفسك.

إن تلك المرأة السوداء استطاعت أن تكسب دعاء النبي ﷺ واستطاعت أن تجعل التاريخ يسجل اسمها، اسأل نفسك: لماذا حصلت على هذا؟ وكيف؟ لأجل أنها عملت للإسلام عملًا هو قدرتها وهو وسعها وهو عمل في ميزاننا اليوم

عمل حقير، إنها كانت تَقُمُّ المسجد[١]، ما أحقر هذا العمل في ميزاننا اليوم، ولكن ما أرفعه عند الله يوم أن كان هو وسعها وهو قدرتها.

فأين أنت أيها الأخ الحبيب؟

وأين أنت أيتها الأخت المسلمة؟

سجل نفسك في التاريخ، ليكن قلبك كبيرًا يتسع لهموم الآخرين، ليكن حارًا لإصلاح الجميع.

أحسن النية، واجعلها سباقة فإنك تؤجر عليها ولو لم يتيسر لك العمل.

فرق كبير بين قولك: اللهم اجعلني من الصالحين، وبين قولك: اللهم اجعلني من الصالحين المصلحين.

فرق كبير بين قولك: اللهم انفعني، وبين قولك: اللهم انفعني وانفع بي.

---

(١) روى البخاري (٤٥٨، ٤٦٠، ١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد فمات، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: مات قال: «أفلا كنتم آذنتموني به، دلوني على قبره»، أو قال: ـ قبرها ـ فأتى قبره، فصلى عليه.
وفي رواية (٤٦٠) قال: ولا أراه إلا امرأة.
قال الحافظ (فتح ١/٥٥٣): وفي الحديث فضل تنظيف المسجد.

إذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام.

ولكل جسم في النحور بلية
وبلاء جسمي من تفاوت همتي

- متى يستيقظ الأخيار إن لم يستيقظوا الآن؟
- متى يتحرك الصالحون إن لم يتحركوا الآن؟
- متى يستيقظ المسلمون إن لم يستيقظوا الآن؟
- أليس في قلوبنا غيرة؟ أليس فينا حياء؟
- متى نشعر بالتحدي وأعداء الله ﷻ يشمتون بهذه العقيدة ليل نَهار؟ جعلوا الباطل حقًّا والحق باطلًا. وجعلوا الوضيع شريفًا والشريف وضيعًا.

كل المصائب قد تمر على الفتى
فتهون غير شَماتة الأعداء

❑ *اللهم إني بلغت اللهم فاشهد. . .*

ربي تقبل عملي
ولا تُخيب أملي
أصلح أموري كلها
قبل حلول الأجل

وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

محتويات الرسالة

* * *

تم الصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
☎: ٣٢٠٧٩٤ (٠٨٢)، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١